بعد أن حصلت بيعة العقبة الثانية في السنة الثانية عشرة للبعثة، ونظرًا لعدم وجود مبرر واقعي للبقاء في مكة، إذ لا أمل يرجى من كفار قريش للدخول في الإسلام، لذلك أمر النبي الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أتباعه بالهجرة إلى يثرب(المدينة المنورة)، إذ أراد أن يطمأن عليهم أولاً قبل أن يهاجر هو بنفسه ، فخرج المسلمون تباعًا جماعة في إثر جماعة إلى المدينة المذكورة في مدة هجرة متقطعة نافت على الثلاثة أشهر.

وربما مَنْ يسأل لماذا إختار النبي يثرب دون غيرها من المدن الواقعة في شبه الجزيرة العربية، أي أنه لماذا لم يذهب إلى الطائف مثلاً؟!!.

في الحقيقة أن الهجرة إلى يثرب لم يكن وليد لحظة إصدار أمر، بمعنى أن النبي لم يتخذ القرار بشكل عاجل وسريع، فهو كان يخطط لهذا الأمر من سنوات. دل على ذلك سلسلة اللقاءات التي عقدها مع رجال من المدينة المذكورة وعلى مدى موسمين أو ثلاث. وثمة إعتبارات شكلت أسبابًا واقعية شجعته على إتخاذ هذه الخطوة، وهي:

1-أن يثرب مدينة منقسمة على نفسها، فثمة صراعات دامية ولسنوات طويلة بين العرب أنفسهم، وبينهم وبين القبائل اليهودية الرئيسة الثلاث(بني النضير وقريظة وقينقاع).

2- أن الأوضاع الإقتصادية في المدينة المذكورة رازحة تحت نير الإستغلال اليهودي البشع، فهم رجال مال وأعمال بالمقام الأول، وغالبًا ما كانوا يسيطرون على إقتصاد يثرب عن طريق التحكم بحركة رأس المال، فضلاً عن تغذيتهم للصراع بين المجتمع المدني؛ من أجل الإستمرار في بيعهم السلاح والعتاد.

3- إن المجتمع في يثرب، ونظرًا للدعاية اليهودية التي كانت تبشر بقرب ظهور نبي من أولاد أسحق سيكون خاتم الأنبياء، وسينصرهم على العرب، كان تواقًا لمنقذ من هذا الكابوس اليهودي، فدخلوا وبشكل أفضل من المكيين في الإسلام، وهذه الإستجابة الجيدة للنبي حفزته أن يقوم بواجبه الشرعي إزائهم في تكوين قاعدة مؤيدة له في يثرب؛ لذا كان الأمر مشجعًا كثيرًا.

وحاول المهاجرون أن يحيطوا هجرتهم بدرجة عالية من السرية، لكن دون جدوى إذ شعر بهم الكفار؛ بفعل صغر مساحة مكة وللرقابة الكبيرة التي فرضتها إستقراطية قريش على تحركات النبي وأصحابه. وأستخدموا كل إمكاناتهم المتاحة لثنيهم عن عزمهم هذا، إذ أدركت قريش مبكرًا أن مصالحهم السياسية والإقتصادية ومعها الإجتماعية ستكون في خطر وشيك إذا ما تمت الهجرة بنجاح، ذلك أن عاصمة الدولة ستكون المدينة المنورة، ومعها سينتقل الثقل السياسي والإقتصادي للعرب إليها بعيدًا عن مكة.

وفي الحقيقة فقد شابت روايات الهجرة سلسلة من الأكاذيب؛ لتزكية أشخاص عُرِف عنهم العداء الكبير لأهل البيت، ومنهم صهيب بن سنان الرومي، وهو شخص عربي الأصل من قبيلة النمر بن قاسط بن ربيعة، من أهل نينوى سبته الروم، وبقى عندهم مدة فتأثر بلغتهم، وشاب كلامه رطانة، فسمي صهيب الرومي. وكان صهيب هذا يعادي أهل البيت، فهو لم يبايع الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام). ولأنه كان على صلة وثيقة بعمر بن الخطاب حاول الرواة خلق فضائل مكذوبة له، منها أن قريش أعترضته وهو في طريق الهجرة، فعنفّوه وذكّروه بأنه جاء إليهم فقيرًا وكَثُرَ ماله عندهم، ففدى نفسه بكل ماله؛ فرارًا بدينه من سطوة قريش وفتنتها، حتى نقلوا كذبًا على لسان النبي بأنه قال: "**ربح صهيب، ربح صهيب**".

وثمة آثار ترتبت على الهجرة، منها إنقسام الأُسر العربية، إذ لم يعد بإمكان بقاء المؤمنين بعلاقة الزواج مع الكفار، فترتب على ذلك طلاقهم. فضلاً عن إحتواء الأُسر على أفراد مؤمنين وآخرين كفار. وفي الوقت الذي كشفت فيه الهجرة عن معدن قريش الحقيقي ومدى قسوتها في قمع المسلمين بالذات الفقراء والضعفاء منهم، إلاّ أنها أظهرت عزمًا من كثير منهم على ترك الأموال والأهل في سبيل الحفاظ على ثمرة الإسلام التي إكتسبوها إبّان مدة ثلاثة عشر سنة من الجهاد الفكري مع النبي في مكة.

وعلى أيّ حال فقد بقى رسول الله إلى أن أتم أصحابه الهجرة حتى شهر صفر من السنة الثالثة عشرة من البعثة المباركة، عدا من بقي وأفتتن. وقيل أن من بقي مع النبي هو الإمام

علي بن أبي طالب وأبي بكر بن أبي قحافة. وفي الحقيقة أن بقاء الإمام علي معه أمر صحيح لا لبس فيه، إذ طلب النبي منه أن يأتي بعده؛ فهو وصيه أولاً، ومن أجل أداء أمانات الناس التي كانت عند النبي في مكة وتسوية أموره، فضلاً عن نقل أسرة النبي الكريمة إليه ثانيًا، إذ لا يجرؤ أحد مهما علا شأنه أن يقف بوجه قريش الطامحة التي كانت مستعدة لإعتقال أسرة النبي؛ للضغط عليه لثنيه وأصحابه عن الهجرة.

أما موضوع وجود الخليفة الأول فهو محل شك، إذ أريد إختلاق فضيلة للرجل فوردت روايات تثبت وجود أبا بكر مع النبي في الغار، إذ إجتهدوا كثيرًا في ذلك حتى قالوا بأن الخليفة الأول كان قد إشترى بعيرين؛ ليسافرا عليهما، وأستأجر دليلاً يدعى عبد الله بن أريقط بن بكر، فضلاً عن بقاءهما ثلاثة أيام في الغار تتعدهما أسماء بنت أبي بكر بالطعام. ومن أهم رواة هذه الروايات هو عروة بن الزبير، وهم أبن أخت السيدة عائشة. وأورد ذلك إستدلالاً منه كما قيل بالآية الكريمة:{**إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**}.

وللرد على الإستدلال بالآية الكريمة يمكن القول أن ثمة أمور لا بد من ملاحظتها وهي بحسب الآتي: 1-العدد (ثاني اثنين) 2-المكان(اذ هما في الغار)3-الصحبة (اذ يقول لصاحبه) 4-الشفقة(لا تحزن)5- النصرة(إن الله معنا) 6- السكينة(انزل سكينته عليه)7 – التأييد الالهي(فأيده بجنود لم تروها). وجواب ذلك: فالعدد لا فضل فيه فالمؤمن والكافر والحمار يكونون ثلاثة بدليل قولته (تعالى): { **سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ**}. والمكان يضم كل شيء شريف وخسيس، والصحبة عند العرب تجمع المؤمن والكافر، لقوله تعالى: {**قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا**} وإن كانت عبارة (لا تحزن) في النص القرآني خاصة بابي بكر فهي اما أن تكون معصية فهي طامة كبرى، وإن

كانت طاعة لا يمكن أن ينهاه النبي؟!. وكذا مع العبارة (إن الله معنا) فالعرب لأجل التعظيم تخاطب الفرد بصيغة الجمع مثل قوله تعالى: { **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**}، اما اذا كان المنزّل عليه السكينة هو ابي بكر فهذا من المحالات قطعاً؛ لانه من النص يتضح أن الذي نزلت عليه السكينة هو المؤيد بتأييد الله ونصره. وبعد ذلك يتضح أن الرجل اي بكر اقحم هنا لأجل المنقبة والفضل لا اكثر.

مع العلم أن ثمة رواية ذكرها الطبري تثبت أن النبي خرج من بيت أبي بكر مهاجرًا وهذا أمر غير محتمل؛ لأن أمر الهجرة أحيط بقدر كبير من السرية؛ خوفًا على حياة النبي، وربما هذه كذبة كبيرة، إذ أن الرواة صحّفوا أسم عبد الله بن أريقط بن بكر، وقالوا بأن النبي خرج من بيت أبي بكر، خصوصًا لم يكن تنقيط في اللغة العربية وقتها. وأيضًا من أجل الحبكة قالوا أن ثمة حمامة باضت أمام الغار، وعنكبوت نسج خيوطه الرقيقة أمامه؛ من أجل إيهام المشركين بعدم وجود النبي وابي بكر في الغار، فوجود هذه المخلوقات بالحال المذكور يعني من المحال دخول أشخاص إلى الغار؛ لانه عندها ستطير الحمامة وسيدمر بيت العنكبوت.

وفي الحقيقة أن الغار صغير فهو بعرض مترين مربعين ليس إلاّ، ويمكن لأي شخص أن يقف ويرى ما بداخله، فضلاً عن وجود فتحة جانبية للغار يمكن أن تضيء وتكشف كل ما موجود في فيه بكل بساطة، فما الداعي إذاً للعنبكوت وخيوطه والحمامة وبيضاتها!!. وفي الحقيقة أن هذه القصة مختلقة ومؤسسة على غرار رواية تعود لعصر النبي داؤود عندما ذكرت التوراة بأن جالوت لاحقه لقتله.

وأيضًا روايات تثبت أن أبي بكر كان يصلي خلف سالم مولى أبي حذيفة في المدينة قبل الهجرة، بمعنى أن لم يكن في الغار. بدليل ما نقل في الرواية الآتية: " **كان سالم مولى أبي حذيفة يؤم المهاجرين الأولين وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد قباء فيهم أبو بكر وعمر وأبو سلمة وزيد وعامر بن ربيعة**". فضلاً عن رواية مهمة تقول بأن أبا بكر خرج

من بيته يسأل عن النبي في يوم الهجرة، فتلقى جوابًا بأن النبي خرج، بمعنى من المعاني أن النبي خرج من دون أبي بكر، وقيل أنه تمكن من اللحاق به في بئر ميمونة.

وثمة أمر دبّرت له قريش للقضاء على الإسلام بعد أن عجزت عن إيقاف النبي الا وهو قتله، فإجتمع مشركو مكة في دار الندوة وأتخذوا قرارًا بالتخلص منه، وأتفقوا أن يحضروا عشرة شبان، شاب من كل قبيلة لقتله ويضيع دمه بين القبائل وتعجز بني هاشم عن الثأر له. وعليه ولأجل الهجرة طلب النبي من الإمام علي أن ينام مكانه ليلة هجرته، فوافق الإمام بسرعة وأبدى إستعداده للتضحية من أجل دين الله.

وبات الإمام علي مكان النبي في ليلة الهجرة المباركة ملتحفًا برداء لرسول الله، ولما دخل عليه الشبان، أرادوا قتله إشتباهًا منهم بأنه النبي، فقتل أحدهم ويدعى مُهلّع، وفر الباقون من شجاعة أمير المؤمنين. وعلى أيّة حال كان المؤمنون في المدينة يترقبون وصول الله النبي إليهم، بعد أن عرفوا بخروجه من مكة، فقيل أنهم كانوا يخرجون من بيوتهم في النهار ينتظرون في الطريق، ويعودون عندما يشتد عليهم الحر القائض. ومن الجدير بالذكر أن رحلة النبي لم تستمر أسبوع كما ذكر المؤلف من 4 ربيع الأول الى الحادي عشر منه، بل أكثر من أربعين يومًا؛ لأن النبي ظل مترقبًا لحاق الإمام علي به ليدخلا سويةً إلى المدينة في تأكيد واضح وصريح من النبي الأكرم بمكانة الإمام منه ومن المنظومة الإسلامية. ولما وصل النبي إلى يثرب تغير أسمها للمدينة المنورة، وبدأ فصل جديد من تاريخ العرب بقيام نواة الدولة الإسلامية التي أراد النبي تأسيسها على قيم المواطنة بعيدًا عن قيم البداوة القائمة على العنف غير المبرر.